

# أعلام اللغة

## أحمد فارس الشدياق

### الأستاذ محمد محيي الدين

إلى قرية الحدث على مقربة من بيروت سنة 1809  
فترعرع فيها ، وتعلم في مدرسة مين ورقه . ولما  
مات والده اكتب على المطالعة ، واحترف مهنة نسخ  
الكتب .

ولما مات أخوه بطرس الذي كان حبيس البطريرك  
الماروني في دير قنوبين خاف فارس على نفسه فعاد  
وطنه مغاضبا ، وسافر إلى القاهرة ليكون استاذ  
اللغة العربية عند رجال البعثات الأميركيين . وهنالك  
اكتب على دراسة اللغة العربية وعمل الاتصال بالائمة  
المصريين والعلماء ، فبلغ بعد اعماقها . ولذلك عهد  
به محمد علي الكبير إلى مصر بتحرير جريدة  
الحكومة : « الوقائع المصرية » .

وفي سنة 1824 ذهب إلى مالطة بناء على  
طلب المرسلين الأميركيين ، وليث في تلك الغزيرة  
أربع عشرة سنة يعلم في مدرسة هؤلاء ، ويصحح  
طبعومات مطبعتهم .

وفي سنة 1848 طلبه وزارة الخارجية  
الإنكليزية من حاكم مالطة ليعاون الدكتور « لى » على  
ترجمة التوراة ، فلبى طلبتها ومحث في لندن شهر  
سنوات تعرف خلالها بأكبر علماء أوروبا وأدبائها .  
ومن تلك الكتب « الواسطة » و« كشف المخبا »  
و« الفاريقا » الذي طبعه في باريس سنة 1855 .

وفي باريس ألف وأصدر كتاباً آخر أبرزها  
« سرالي » الذي كشف به الغطاء عن مظلمة اللغة

منذ بداية القرن التاسع عشر بزرت في كل من  
مدينة بيروت ، التي كانت مركزاً لولاية تحمل اسمها ،  
ولبنان في مهديه الانطامي والمعرفيه الممتازة ، بزرت  
نهضة هامة شملت النواحي الأدبية والاجتماعية  
والسياسية . وكان يرجع مصدرها إلى اختلاط هذا  
الشغر والجبل المشرفة عليه باوروبا وذلك بانتقال  
بعض رجال الدين المسيحي إلى مواصم الفرنج ،  
ويتدفق الإرساليات التبشيرية إلى هذين البلدين ،  
وتنافسها في إنشاء المدارس والكليات والمطابع ،  
بالإضافة إلى ما تخلل ذلك من قيام الشركات الأجنبية  
بالمشاريع العمرانية والاقتصادية ، وفي إسفار كان  
يقوم بها تجار بيروت إلى المالك الأوروبي وغيرها في  
سبيل التبادل التجاري .

وفي أواخر القرن المذكور كان شعار النهضة  
اهتمامًا باللغة العربية وآدابها ، وقد حمل لوادها  
أدباء من رجال الدين والدنيا نظموا الشعر وكتبوا  
المقالات وانشأوا الصحف والمدارس ليس في سوريا  
فحسب ، وإنما في غيرها من البلاد المجاورة ،  
واوروبا . وعلى قول جاحظ لبنان العاصي المرحوم  
مارون مبود أحمد فارس الشدياق كان الرجل  
الاول في هذا البعث الاجتماعي ، وحامل لواء اللغة  
العربية .

— \* —

ولد فارس الشدياق في قرية مشقوت بلبنان  
سنة 1804 ، ولا حوال سيناسية انتقل والده منصور

ومن رأسهم مفتى البلدة ، والاعيان والادباء ، وكانت الرائيات والاعلام تمشي امام الجنائزه ، ومشائخ الطرق يمشون وراءها يهلوون ويكبرون .

وبعد الصلاة عليه في الجامع العمري الكبير ، وسماع المرائي من نظم ونشر ( على ما ذكرت جريدة لسان الحال في اليوم التالي نقل جثمانه الى قرية الحدث ، ولكن لم يدفن فيها ، وائماً دفن على مقربة منها في محلة الحازمية على جانب الطريق بين بيروت ودمشق حيث ثبّتت الدولة له ضريحًا مرموقاً على نسق مقامات الباشوات والحكام .

— \* —

في نهاية عام 1936 اجتمع في بيروت جمّهور من كبار الادباء والصحفيين والاعيان ، وقرروا الاحتفال بيوبيل الشدياق لمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاته ، واختاروا لجنة ادارية منهم تتولى اعداد مهرجان كبير لاحياء ذكراه ، ولاعادة طبع آثاره . وقد شرفني المجتمعون بانتخابي رئيساً لهذه اللجنة ، ولكن الاسباب التي حالت دون دفن الشدياق في القرية التي ولد فيها ، حالت هذه المرة ايضاً دون قيام هذه اللجنة بما عهد اليها .

ونحن نترك الكلام هنا الى اديب لبنان الكبير مارون عبود . فهو قد ختم كتابه « سقر لبنان » الصادر سنة 1950 بفصل اطلق عليه اسم « صرخة في وَد » : اورد فيه ما اعتبره احتفالاً غير لائق من ملابسات وعقبات . وقال : « عندما ارسلنا الصرخة تلو الصرخة لم تحسب انها جبأها ستدّه في وَاد . فما اصدراها بضع مقالات ، في نهاية عام 1936 نذكر فيها العالم العربي باديب النهضة الحديثة ، وواسع حجر الزاوية في بنائها العلامة الراحل احمد فارس الشدياق حتى اهاب بنا صوت من بيروت : ان انزل العاصمة ، فهبطنا اليها شاكرين للأستاذ محمد جميل بيهم دعوه الى شربنا فيها الشاي والقهوة ، وأكلنا من الحلوي اقراصاً مختلفة . كنا اربعين ، ولكن غير الأربعين الحالدين ، فانتخبنا منا اثنين هشـر وسـولا ... حملناهم الدعوه للشدياق ، وارسلناهم كالغراف ... . كانت هنـنا مظـيمة يوم بـدـانـا ، وتـلكـ هـادـنـا ، نـارـ هـشـيم ، ثم تـنـطـيفـه ، فـماـ ذـاقـتـ الدـعـوـهـ حتىـ اـبـعـثـتـ الـبـصـمـ ، وـاتـانـاـ منـ القـاهـرـةـ نـباـ الدـكـتـورـ فـيلـيـبـ الشـديـاقـ ( ابنـهـ مـمـ المـرـحـومـ ) يـتـبعـ بـعـائـةـ جـنـيهـ مصرـيـ لـعـلـ تـمـثالـ

الـعـرـبـيـةـ . وـصادـفـ انـ جـاءـ بـارـيسـ وـقـتـئـ اـحمدـ باشاـ باـيـ توـنـسـ ، فـمدـحـ الشـديـاقـ بـقصـيـدةـ كانـ اوـلـهاـ « زـارـتـ سـعـادـ » ، ثمـ بـعـثـ بهاـ اليـهـ بـعـدـ عـودـةـ الـبـايـ الىـ بلـادـهـ فـاعـجبـ هـذـاـ بـهـ ، وـارـسـلـ يـسـتـقـدمـهـ الىـ توـنـسـ عـلـىـ سـفـيـنةـ بـخـارـيـةـ لـبـيـحـ الشـديـاقـ عـلـيـهـ هوـ وـهـالـتـهـ .

وـفـيـ توـنـسـ فـمـرـ الـبـايـ الشـديـاقـ بـنـعـمـهـ ، وـفـنـدـهـ اـسـمـ النـاصـبـ ، وـفـضـلـاـ عـنـ مـدـيـرـيـةـ الـمـارـفـ مـهـدـ اليـهـ بـرـيـاسـةـ تـحرـيرـ جـريـدةـ الرـاـئـدـ التـونـسـيـ . وـفـيـ فـمـرـةـ هـذـهـ النـعـمـ اـعـلـنـ فـارـسـ الشـديـاقـ اـسـلـامـهـ ، وـاضـافـ اليـهـ اـسـمـ اـحـمـدـ ، وـتـكـنـيـ بـاـيـ العـبـاسـ .

وـحـيـنـدـ ، وـقـدـ ذـاعـ مـيـتهـ فـيـ الشـرـقـ وـالـغـربـ ، اـسـتـدـعـهـ السـلـطـانـ مـبـدـ المـجـيدـ العـمـانـيـ بـوـاسـطـةـ الـبـايـ . وـلـمـ جـاءـ دـارـ السـعـادـ « اـسـطـامـبـولـ » رـحـبـ بـهـ السـلـطـانـ ، وـمـهـدـ اليـهـ بـاـدـارـةـ الـمـطـبـعـ السـلـطـانـيـ طـوـالـ عـدـةـ سـنـوـاتـ . وـفـيـ سـنـةـ 1861 اـنـشـأـ الشـديـاقـ جـريـدةـ الـعـرـائـبـ ، فـكـانـ تـنـطـقـ بـلـسـانـ الشـرـقـ ، وـمـرـجـمـاـ لـاـصـفـ الـاـوـرـوـبـيـةـ فـيـ الـقـصـابـيـاـ الشـرـقـيـةـ الـتـيـ كـانـ يـطـلـقـ عـلـيـهـ « اـسـلـالـةـ الشـرـقـيـةـ » . وـكـانـ هـذـهـ الـعـرـيـدةـ تـحـمـلـ لـوـاءـ الـعـرـبـ وـالـعـرـيـةـ الـاـمـرـ الـدـىـ اـنـسـيـ الـاسـكـانـهاـ سـنـةـ 1884 .

وـفـيـ 1886 زـارـ اـحـمـدـ الشـديـاقـ القـاهـرـ ، وـهـوـ شـيـخـ ، فـاـكـرـمـهـ الـخـيـدـبـيـ تـوـنـيقـ باـشاـ ، وـنـوـهـ بـخـدـمـانـهـ لـلـشـرـقـ اـنـفـلـ تـنـوـيـهـ ، وـلـكـنـهـ معـ ذـلـكـ ظـلـ يـحـنـ الـعـاصـمـةـ الـعـمـانـيـ فـعـادـ اليـهـ ، وـقـضـىـ نـجـبـهـ فـيـهـ سـنـةـ 1887 . وـقـدـ اـحـتـفـلـ بـمـالـهـ اـحـسـ اـرـادـةـ سـنـيـةـ بـدـفـنـهـ فـيـ تـرـبةـ السـلـطـانـ مـحـمـودـ ، بـيـنـماـ رـوـثـهـ مـحـفـ الـعـالـمـ عـلـىـ اـخـلـافـ لـقـائـهـ ، وـتـنـقـلـ الـبرـقـ نـعـيـهـ اـلـىـ الـعـوـاصـمـ الـاـخـرـىـ . وـقـالـ مـنـهـ جـريـدةـ الـاجـبـشـيـانـ فـازـيـتـ ماـ يـلـيـ : « ضـعـ الـكـتـبـ الـاـنـجـلـيـزـ سـكـبـ وـاـمـرـسـونـ وـدـاـورـ درـوـثـ وـوـايـكـنـفـ وـبـلـوـيـزـ فـيـ شـخـصـيـةـ وـاحـدـةـ فـجـيـثـ يـمـكـنـكـ اـنـ تـصـوـرـ جـيـداـ عـلـمـةـ اـحـمـدـ فـارـسـ الشـديـاقـ . وـلـوـ لـدـ الشـديـاقـ فـيـ اـورـوباـ لـدـفـنـ مـعـ نـجـبـةـ الـمـلـمـاءـ ، وـلـنـصـبـتـ لـهـ التـمـائـلـ فـيـ اـكـثـرـ مـدـنـ بـلـادـهـ . »

ولـكـنـ الشـديـاقـ ( عـلـىـ مـاـ جـاءـ فـيـ دـائـرـةـ مـعـارـفـ الـبـشـرـيـةـ ) كانـ يـرـيدـ انـ لاـ يـدـفـنـ فـيـ فـيـرـ مـسـقـطـ رـاسـهـ وـلـذـلـكـ فـانـ وـلـدـهـ سـلـيـماـ التـمـسـ الاـذـنـ بـاـنـ يـدـفـنـ فـيـ قـرـيـةـ الـحـدـثـ هـمـلاـ بـوـصـيـةـ وـالـدـهـ . وـكـانـ يـوـمـ تـقـلـ جـثـمـانـهـ اـلـىـ لـبـانـ اـنـ اـمـمـ اـيـامـهـ ، كـماـ كـانـ يـوـمـ اـسـتـقـبـالـ جـثـمـانـهـ فـيـ بـيـرـوـتـ يـوـمـ مـشـهـودـاـ اـشـتـرـكـ فـيـ الـلـمـاءـ

لتفقد لكي يطلب معونة الحكومة ، بل اعلن لزائرته حالا انه سيخصم مبلغنا من المال تسع به حالة موازنة المعارف يكون فاتحة الاكتتاب الذي ستجريه اللجنة لتحقيق منهاجاها ، ووهد بأن تشارك مدرسة الصنائع والفنون مع احد مهندسي الحكومة لترجمة الصريح ، فخرج الوفد من زيارته شاكرا » .

ومضى مبود يقول :

« راحت وزارة ابي شهلا ، وجاءت بعدها وزارة ابي اللمع ، ثم سقطت هذه واجهت وزارة ثابت ، ولكن الوزارات لم تكن تحل وترتبط ، فمثنت القضية على قدم وساق الى الاضححال ..

وهكذا ارتحت همة لجنة الشدياق ، اذ علم الامضاء الكرام ، والرئيس المهام انهم ينفعون في رماد ..

وهنا امرأب المرحوم مارون عبود عن اسفه على ما افترض نوبيل الشدياق الخمسيني من عقبات ، ولكنه قال : « فلا يأس ان تركنا التمثال للذرية فلمها تكون خيرا منا فللجنة تمثال بودلير نامت راهه رباع قرون » .

اما وقد مضى 35 عاما على موعد نوبيل الشدياق الخمسيني توفي خلالها الداعي الاول لهذا اليوبيل ، واشرفت على اللحاق به حين ان احدا من الذرية لم يذكر في الاحتفال بذكرى الشدياق فاني احببت ان اذكر العالم العربي بمجلة «اللسان العربي» المعترمة ، بالرجل الفذ الذي خدم هذا اللسان خدمات لم يقم فيها احد سواه في مصره ، ولعل الذكرى تنبع المؤمنين .

للقييد ، وتواتت جاسات اللجنة المختارة حتى خطر بيالها ان تقرع باب الحكومة ، فمئة نيلب شجعتها ... أما كرم الحكومة فكان حائما ... واليك ما كتبته جريدة صوت الاحرار العطبرية على السر تلك المقابلة تحت هذا العنوان الضخم « الجمهورية اللبنانية تقدر توابتها » .. « اوفدت لجنة تكرييم امام اللغة العربية وحياتها في القرن الناسع عشر المسؤول عليه احمد فارس الشدياق اربعة من اعضائها : السادة محمد جميل بיהם رئيسها ، والشيخ يوسف زكريا ، وكرم ملحم كرم ، ويوسف يربك فقابلوا فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الاستاذ اميل ادله طلبوا اليه التلطف بقبول جمل المهرجان تحت رعاية فخامة ، وقد استقبل اللبناني الاول وله اللجنة بحفاوة وقال : « انه شخصيا يعطى على مشروعها ويقدر حق قدره ، ولكنه يطلب الى الوفد ان يجتمع بمعالى وزير التربية الوطنية ويتفق معه على تقرير الامر ، ملا بنصوص الدستور ... وذهب الوفد الى معالي الاستاذ حبيب ابي شهلا ، فلتى من وزير التربية الوطنية كل عطف وتشجيع ، وقال : انه مستعد لتسهيل مهمة اللجنة بكل ما لديه من الوسائل المادية والمعنوية ، وقد تلطف وشكر اللجنة باسم الحكومة اللبنانية على اهتمامها بتكرييم نابعة لبناني من نوابع امة العربية ، ووهد بقبول رعاية المهرجان.

وقد بسط معالي الوزير منهج اللجنة لتكريم الشدياق ، ومنه اعادة طبع بعض مؤلفاته ، واختيار مختارات منها ، ثم اقامة تمثال له ، وترجمة ضريحه في الحازمية ، وجعل مدة المهرجان أسبوعا كاملا يشترك فيه المستشرقون ، ووفود الاقطار العربية وشعراؤها وكتابها . ولم ينس معالي الوزير المجال